هكذا روي مرفوعاً وقيل سيداً من السرو وهو عيسى وهزي إليك بجذع النخلة وأميليه إليك والباء مزيدة للتأكيد أو افعلي الهز به
أو هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فأدغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب
بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى أسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطباً جنياً تمييز أو
مفعول روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله لها رأساً وخوصاً ورطباً وتسليتها بذلك
لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على أن من قدر أن
يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن يحبلها من غير فحل وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الطعام والشراب ولذلك رتب
عليه الأمرين فقال فكلي واشربي أي من الرطب وماء السري أو من الرطب وعصيره وقري عيناً وطيبي نفسك وارفضي عنها
ما أحزنك وقرئ قِري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره أو
القُر فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فإما ترين من البشر أحداً فإن
تري آدمياً وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي إني نذرت للرحمن صوماً صمتاً وقد قرئ
به أو صياماً وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن أكلم اليوم إنسياً بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي وقيل
أخبرتهم بنذرها بالإشارة وأمرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلامه فإنه قاطع في قطع الطاعن فأتت به مع ولدها
قومها راجعة إليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة إياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً بديعاً منكراً من فري الجلد
يا أخت هارون يعنون هارون النبي كانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة
وقيل هو رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكماً أو لما رأوا قبل من صلاحها أو شتموها به ما كان أبوك امرأ سوء
وما كانت أمك بغياً تقرير لأن ما جاءت به فري وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش فأشارت إليه إلى عيسى
أي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ولم نعهد صبياً في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من
وصبياً حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله وكان الله عليماً حكيماً أو بمعنى صار قال إني عبد الله أنطقه الله به
أولاً لأنه أول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الإنجيل وجعلني نبياً وجعلني مباركاً نفاعاً معلماً للخير
والتعبير بلفظ الماضي إما باعتبار ما سبق في قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً
أينما كنت حيث كنت وأوصاني وأمرني بالصلاة والزكاة زكاة المال إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حياً
وبراً بوالدتي وباراً بها عطف على مباركاً وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي
وكلفني براً ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفاً على الصلاة ولم يجعلني جباراً شقياً عند الله من فرط تكبره والسلام علي
يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً كما هو على يحيى والتعريف للعهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه
فإنه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض بأن
العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم أي الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو
تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعلوا الموصوف بأضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم
قول الحق خبر محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة
عيسى أو بدله أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على أنه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق

وهو بمعنى

وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في أمره يشكون أو يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على
الخطاب ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه عما بهتوه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون تبكيت
لهم بأن من إذا أراد شيئاً أوجده بكن كان منزهاً من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد بإحبال الإناث وقرأ ابن عامر فيكون
بالنصب على الجواب وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان
أن بالفتح على ولأن وقيل إنه معطوف على الصلاة فاختلف الأحزاب من بينهم اليهود والنصارى أو فرق النصارى نسطورية
قالوا إنه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين
كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه
أو من شهادة ذلك اليوم عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو
ما شهدوا به في عيسى وأمه أسمع بهم وأبصر تعجب معناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا أي يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما
بعد ما كانوا صماً في الدنيا والتهديد بأنهم سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم
والجار والمجرور على الأول في موضع الرفع وعلى الثاني في محل النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين أوقع الظالمين
موقع الضمير إشعاراً بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على إغفالهم بأنه ضلال بين
وأنذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه إذ قضي الأمر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
إلى الجنة والنار وإذ بدل من اليوم أو ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض
أو بأنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالاً متضمنة للتعليل إنا نحن نرث الأرض ومن عليها لا يبقى لأحد غيرنا
عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه وإلينا يرجعون يردون
للجزاء واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ملازماً للتصديق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته
وكتبه ورسله نبياً استنبأه الله إذ قال بدل من إبراهيم وما بينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقاً نبياً لأبيه يا أبت
التاء معوضة من ياء الإضافة ولذلك لا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا وإنما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئاً في جلب نفع ودفع ضر دعاه إلى الهدى وبين ضلاله
واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشده برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به
العقل الصريح ويأبى الركون إليه فضلاً عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام وهو
الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حياً مميزاً
سميعاً بصيراً مقتدراً على النفع والضر ولكن ممكناً لاستنكف العقل القوي عن عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة
لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف إذا كان جماداً لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه الحق القويم
والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظاً من العلم الإلهي مستقلاً بالنظر السوي فقال يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك
فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون
أعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث إنه الآمر به
فقال يا أبت لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بأن الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)